

الماضرة الخامسة

نظرية المعنى-نص

المحتويات:

- 1- النظرية اللسانية المعنى-نص
- 2- مميزات النظرية
- 3- مبررات النظر إلى اللغة من جهة التأليف
- 4- مسلمات النظرية
- 5- التمثيلات اللسانية ومستويات التمثيل

الماضرة الخامسة: نظرية المعنى-نص

1- النظرية اللسانية المعنى-نص

ظهرت هذه النظرية في سياق البحوث التي كانت تعالج الترجمة الآلية، في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين على يد اللسانيين الروسيين "ملتشوك Mel'čuk" و "شلكوفسكي Zolkovskij" و توسع فيها "بولغار Polguère". تصنف هذه النظرية إبيستيمولوجيا ضمن المنظور الاتصالي المعرفي؛ حيث اللسان هو أداة للاتصال ووسيلة للاستدلال والمفهمة داخل العملية المعرفية، وتتحدد علاقاته مع الأنظمة المعرفية الأخرى من خلال دراسة بنيته الداخلية.

يعدّ "منوال المعنى- الصّ" جهازا وظيفيا يحاكي آليات اشتغال اللّغة الطّبيعية كما تضبطها "نظرية المعنى - الصّ". وبصفته تلك، فهو نظام رمزيّ ينشئه الباحث لغايات علمية. وتعرّف النظرية المنوال كما يلي: (س هو منوال "وظيفي" لـ ص) أي (س هو نظام عبارات رمزية ينشئها الباحث بهدف تمثيل اشتغال الكيان المعطى ص الذي يدرسه. وبناء على ذلك توجب النظرية أن يغطّي هذا الجهاز كلّ مستويات اللّغة في نظامها التراتبيّ انطلاقا من الوحدة الدلالية (المعنى = بوصفه تمثيلا دلاليًا) وصولا إلى الملفوظ (الصّ = بوصفه تمثيلا صوتيا سطحيا)، مرورا بالبنى والتّمثيلات المعجمية والتّركيبية والصّرفية والصّوتية. ويعدّ "منوال المعنى - الصّ" مجسما للغة شكلية قادرة على وصف اللّغة الطّبيعية وصفا علميا صارما وموضوعيا. وهو الأداة التي يحتاجها اللّسانيّ لتحديد معالم اشتغال اللّسان الطّبيعيّ بضبط التّمثيلات الدلالية والتّركيبية والصّرفية والصّوتية، وضبط معالم التّعالق بينها عن طريق قواعد تحاكي ما يحصل في ذهن المتكلّم.¹

إذن اللسان، من وجهة نظر هذا الاتجاه، عبارة عن جهاز مجرد أو نظام من القواعد يمكن للمتكلّم أن ينفذ عبره عمليتين متباينتين:²

• التكلّم:

أي له القدرة، من جهة، على أن يقيم توافقا بين المعاني التي ينشئها في نفسه، وبين نصوص لسانه كلها التي يمكن أن تدل على تلك المعاني. كما أن له القدرة، من جهة أخرى، على أن يختار من بين تلك النصوص أو الخطابات ما يطابق مقتضى الحال لدى فعل لغوي معطى.

• فهم الكلام:

أي له القدرة، من جهة، على أن يقيم توافقاً بين نص متلقًى وبين كل المعاني التي يمكن أن يزجها ذلك النص. ومن جهة أخرى، يستطيع المتكلم أن يختار من بين تلك المعاني ما يناسب ملابسات المقام لدى فعل لغوي معطى.

وظيفة اللساني هنا أساساً هي إنشاء نظام القواعد للسان المدروس أو صياغته سوريا مثل برنامج حاسوبي، هذه القواعد تحدد التوافقات التي يقيمها المتكلمون بين المعاني والنصوص، وهو يهدف إلى تحقيق هدفين عامين:³

• نظري:

هذا النظام المنشأ هو معيار لمعارف الباحث ومسبار لمدى تطابقها مع الواقع اللغوي، حيث يسمح بتصحيح الفرضيات ومراجعتها.

• تطبيقي:

يسهم هذا النظام المنشأ في الإجابة عن إشكاليات طرحها اختصاصات مجاورة للسانيات، منها المعالجة الآلية للغة الطبيعية، وغيرها من المجالات التي تتقاسم معها الاهتمام باللغة. يمثل المعنى تلك الخاصية التي تشترك في الكشف عنها مجموعة الجمل المترادفة، حيث يمكن التعبير عن ذلك المعنى بطرق مختلفة تدعى إعادة الصياغة. لا يعني هذا أن المعنى هو معطى مبدئي بل هو متلقًى بعد دراسة الممارسة الفعلية للسان من قبل المتخاطبين. أما النص فنقصد به تلك السلسلة اللسانية المنطوقة أو المكتوبة التي تشكل وحدة اتصالية أو إبلاغية، لذلك قد يتقاطع مع الجملة أو جزء منها، أو مع مجموعة من الجمل.⁴

2- مميزات النظرية:

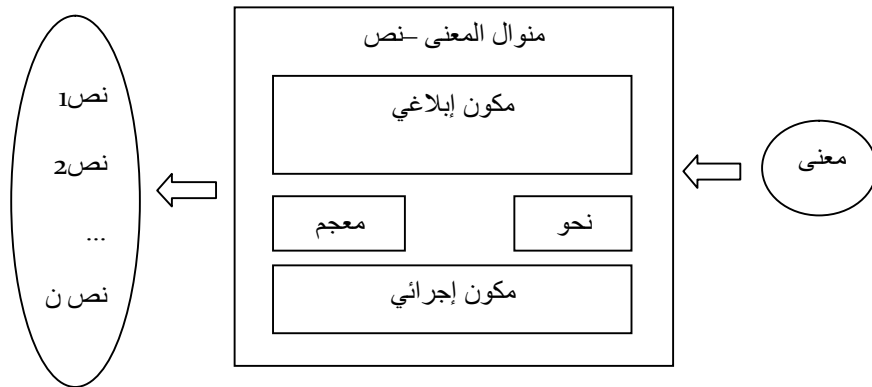
إن النظرية المعنى-نص وإن كانت تشارك النظرية التوليدية التحويلية بعض المبادئ لكنها تخالفها في طبيعة النظام المنشأ أو النموذج المبتغى. وظيفة النحو (نموذج القدرة عند أتباع تشومسكي) تتحدد كالاتي: « ينبغي، في لسان مدروس، أن يكون النحو قادراً بوضوح على تعديد كل الجمل الفصيحة التي ليس فيها لحن، كما أن له القدرة بوضوح على إهمال كل التراكيب التي تتضمن لحنًا، في ذلك اللسان ».⁵ وهو يشبه بذلك الآلة الحاسبة، حيث يقوم بتوليد الجمل الفصيحة عن طريق مجموعة التعليمات التي تشمل هنا القواعد النحوية. في حين يعتبر أتباع ملتشوك النحو جهازاً إجرائياً منطقياً قادراً على محاكاة النشاط اللغوي الإنساني عبر وسائل آلية خالصة.⁶

يهدف الباحث في النظرية المعنى-نص إلى وصف اللسان من خلال الارتكاز على مبادئ أو كليات تنطبق على كل الألسنة، ويحاول إنشاء نماذج صورية، وبالتالي ليست تلك الكليات غاية في حد ذاتها بل يستعين بها في إنشاء نماذج جزئية خاصة بكل لسان، ومنها اللسان العربي. يتميز ذلك الوصف بأنه حركي لا سکوني، حيث لا يهتم بالنظر في الوحدات اللفظية في ذاتها بل في كيفية تحصيلها وتحقيقها. كما أنه لا يطمح إلى تفسير الوقائع النفسية للسان، وهي التي تخص صلة اللسان بالواقع وحال الاستعمال، ويفضل دراسة ووصف الظواهر الداخلية للسان المتمثلة في بنياته المعجمية والنحوية. نموذجها اللساني المعنى-نص دالي يعتمد على مجموعة من القواعد تقيم توافقا بين مستويات وسطى لتمثيل العبارات اللسانية، هذه القواعد تمثل دالة رياضية بحيث يقابل كل تمثيل لمستوى (م) تمثيل لمستوى (1+م). كما يشتمل على معجم ونحو ومجموعة عمليات تسمح بتفعيل هاتين المؤلفتين لوصل المعنى بالنص، نرملها ب: (معنى \Leftrightarrow نص). بما أن كل مؤلفات هذا النموذج صورية فإنها قابلة للحساب، وبالتالي يمكن أن يفعله نظام منطقي أو برنامج حاسوبي، لذلك فإن هذه النماذج حاسوبية بطبيعتها؛ يمكن أن تُفحص حاسوبيا وتستعمل كتطبيقات لمعارف معجمية ونحوية للسان.⁷

يمكن إذاً أن يحدد هدف هذه النظرية انطلاقاً من وصف التوافق (معنى \Leftrightarrow نص) عبر إنشاء نماذج صورية، هذه النماذج تعتبر جهازاً منطقياً افتراضياً تدخل فيه التمثيلات الخاصة بمعنى العبارات فيعطي مجموعة من النصوص، هذه المجموعة تحتوي على كل الجمل المترادفة التي تسمح بالتعبير عن المعنى الموضوع لدى الدخول.⁸

إن هذه النظرية كغيرها من النظريات تركز على مسلمات أو أسس تنطلق منها وتبني عليها جميع فرضياتها وحججها، ثم تستنبط منها نتائجها وكشوفاتها.

إذن، النظرية المعنى-نص هي نظرية لسانية تهدف إلى وصف التوافق معنى \Leftrightarrow نص، عبر إنشاء نماذج صورية، هذه النماذج تعتبر جهازاً منطقياً افتراضياً على الشكل التالي:



الشكل (1): البنية الوظيفية لمنوال المعنى-نص حسب بولغار

يوضح هذا الشكل كيف أن هذا النموذج هو جهاز افتراضي تدخل فيه التمثيلات الخاصة بمعنى العبارات فيعطي مجموعة من النصوص، هذه المجموعة تحتوي على كل الجمل المترادفة التي تسمح بالتعبير عن المعنى الموضوع لدى الدخول.⁹

3-مبررات النظر إلى اللغة من جهة التأليف:

الملاحظ أن "منوال المعنى - النص" يغطي اتجاهين اثنين في التعامل مع الظاهرة اللغوية :

- أولهما يتمثل في اتجاه "التحليل"، أي الانطلاق من "النص" بوصفه تمثيلاً صوتياً سطحياً، في اتجاه "المعنى" بوصفه تمثيلاً دلالياً. وهو العمل اللساني الذي يختص به المخاطب، أو اللساني من أجل فهم الرسالة التي يقولها "النص" المكتوب أو المنطوق.

- وثانيهما يتمثل في اتجاه "التأليف"، أي الانطلاق من "المعنى" في اتجاه "النص". وهو العمل اللساني الذي يختص به المتكلم، والقائم على ملكته اللغوية التي تكفل له عند الاستعمال إمكانية إنتاج "نص" مكتوب أو منطوق معبر عن "المعنى" الموجود في ذهنه.

وتجدر الإشارة في هذا المستوى إلى أن "نظرية المعنى - النص" تفضل في وصفها للغة طبيعياً ما باعتماد "منوال المعنى - النص" أن تنتهج الاتجاه الثاني؛ أي اتجاه التأليف لأنه الأقرب لطريقة اشتغال ذهن المتكلم عند إرادته إنتاج "نص" يعبر عن "معنى" ما يجول في خاطره.¹⁰ وذلك لا يتطلب أكثر من الملكة اللسانية للمتكلم. في حين أن الاتجاه الأول يتطلب علاوة على الملكة اللسانية معارف أخرى ورا- لسانية: « ينظم منوال المعنى - النص انطلاقاً من المعنى نحو النص (وهو ما تعبر عنه تسميته فعلاً)، أي في اتجاه التأليف، أو إنتاج الكلام، وليس في الاتجاه المقابل، أي التحليل أو فهم الكلام»¹¹. ومن المهم في هذا السياق الإشارة إلى أن هذا لا يعني إقصاء الجانب التحليلي من دائرة اهتمام النظرية. بل إن ما ينص عليه ملتشوك وتلامذته يعطي للجانب التحليلي منزلته في دراسة الظاهرة اللسانية؛ لكن يقع تأجيل النظر فيه لقصور معارفنا الراهنة عن درك دقائق المسائل العرفانية.

4-مسلمات النظرية :

تعتمد النظرية المعنى-نص على ثلاث مسلمات أساسية ذات طبيعة غير متجانسة. تتعلق الأولى بموضوع الدراسة وهي تصورها العام للسان. أما الثانية فتخص نتيجة الدراسة المتوقعة، وهي تعرض تصورها لكيفية البحث والوصف اللساني. وأما الأخيرة فتتعلق بالصلة بين اللسان ووصفه بعرضها عدداً من السمات الأساسية للسان والتي تنعكس مباشرة على الوصف.¹²

4-أ/ ما اللسان ؟

اللسان نظام منته من القواعد، يخصص توافقا متعدد الأطراف بين مجموعة غير منتهية معدودة (قابلة للعد) من المعاني وبين مجموعة غير منتهية معدودة من النصوص. تظهر المعاني في النموذج على شكل مواضيع أو مكونات رمزية صورية تدعى التمثيلات الدلالية، وتتجلى النصوص على شكل مواضيع صورية تدعى التمثيلات الصوتية.

يكتب التمثيل الصوتي بأي نظام خطي كان، أما التمثيل الدلالي فيدون حسب "كتابة دلالية" خاصة بكل لسان لأنه يتعلق بالقيمة التي لا يمكن أن تكون لها أهمية خارج اللسان الواحد، والتي هي مرتبطة أيضا بالمفصلة الخاصة بذلك اللسان أي بطريقة تقطيعه للواقع.

تقتضي هذه المسلمة الطابع المنقطع للتمثيلات لوجودها في مستويات متباينة، وبالتالي تتسحب هذه الصفة على النموذج، وإن كان بعض الباحثين يفضلون صياغة النماذج اللسانية المستمرة والمتشابهة مثل "ريني توم R.Thom" الذي يعتقد أنه من الضروري إعادة تبني النماذج التي تحمل تلك الصفة بعد أن أبعدها الاتجاه السوري، لكن ملتشوك لا يرى داعيا لإقصاء النماذج المنقطعة، لأن معيها المعرفي وفعاليتها في ميدان تعليم اللغات والمعالجة الآلية للنصوص يثبتان قيمة هذه المقاربة من الناحية العلمية، حيث تحرص تلك المقاربة على إقامة علاقة الثنائية والتقابل بين كل عناصر البنية بصفة منقطعة: (صحيح X خاطئ)، (حاضر X غائب).

4-ب/ كيف نقارب اللسان ؟

ينبغي أن يوصف التوافق بين المعنى والنص عبر جهاز منطقي يشكل نموذجا وظيفيا للسان، وأن يعرض ويصاغ في هذا الاتجاه معنى = < نص، يستقبل في المدخل تمثيلات دلالية فينتج تمثيلات صوتية، محافظا قدر الإمكان على طريقة المتكلم عند إعادة إنتاج التوافق بين المعنى الذي يريد التعبير عنه وبين النص الذي يسوق هذا المعنى.

يُفضّل في الدراسة الانتقال معنى = < نص على الانتقال معنى > = نص لأن الأول يحاكي نشاط المتكلم فهو أشدّ انتماء إلى موضوع اللسانيات لاعتماده على ممارسة لسانية خالصة مقارنة مع نشاط المستقبل أو المخاطب الذي يحتاج عند استخلاصه معنى من نص إلى معرفة لا بأس بها حول العالم والقدرات المنطقية المصاحبة للنص.

4-ج/ ما هي السمات الأساسية للسان ؟

يجب، لدى وصف التوافق بين المعنى والنص، توافر مستويين أوسطين لتمثيل العبارات وعرض الوقائع اللسانية، هما التمثيل التركيبي الذي يحيل على الانتظام الخاص بالجملة، والتمثيل الصرفي الذي

يحيل على الانتظام الخاص بالكلمة. الجملة والكلمة هما على الترتيب الوحدتان الكبرى والصغرى للكلام، وحدتان مستقلتان وشاملتان بحيث تنحصر أحكام اللسان فيهما تقريبا. يهتم اللساني في إطار الجملة مثلا بترتيب الكلمات والبناء الإبلاغي، وكذا التوافق المعجمي ، بينما في إطار الكلمة يهتم بالتصريف والاشتقاق...

يتم استخلاص خصائص تينك الوجدتين من خلال وضع مسلمة المستويين الفرعيين بين المعنى والنص. مفهوم "المستوى" مستعمل لدى كثير من المدارس اللسانية، حتى إن تشومسكي يعتبره مفهوما مركزيا في النظرية اللسانية حيث يمثل بالأساس مجموعة من المكنزمات الوصفية المناسبة لبناء الأنحاء، ويشكل طريقة لتمثيل النصوص ويسهل ذلك التمثيل لأنه يجزئ النظام العام للسان إلى أنظمة صغرى. ومن هنا يمكن اعتبار النحو مكونا من مجموعة من المستويات اللسانية، يمثل كل واحد منها الوحدات اللغوية على شكل متتالية من العناصر المسلسلة.¹³

5- التمثيلات اللسانية ومستويات التمثيل.

يقصد بالتمثيل اللساني تحديد التعلقات بين سائر مكونات النص ، أي ترجمة الملافيز إلى خطاطات رمزية تحدد بني الكلام كما يضبطها" منوال المعنى - النص .¹⁴
هناك سبع تمثيلات لسانية خاصة بملفوظ ماتمثل في:¹⁵

- ✓ التمثيل الدلالي
- ✓ التمثيل التركيبي العميق .
- ✓ التمثيل التركيبي السطحي.
- ✓ التمثيل الصرفي العميق.
- ✓ التمثيل الصرفي السطحي.
- ✓ التمثيل الصوتي العميق .
- ✓ التمثيل الصوتي السطحي.

¹ فرج محمد الغضاب، التكافؤ الجملي و أنظمتها الدلالية- ملتشوك ونظرية المعنى-النص، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، ط1، جانفي 2021، ص 110-111.
² رضا بابا احمد، دراسة لسانية صورية للوحدات اللسانية الدالة -ضمير المتكلم نموذجا، مذكرة ماجستير، تخصص: اللسانيات التطبيقية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية: 2005-2006، ص 63.
³ رضا بابا احمد، من أجل معالجة آلية للغة النظرية اللسانية المعنى-نص ، المجلة المغاربية للغات اللسانيات والتعليمية في المغرب، جامعة وهران، العدد 7، 2011، منشورات دار القدس، وهران - الجزائر، ص174-175.

⁴ Ducrot (O.) ; Schaeffer (J.-M.), Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Editions du Seuil : Paris, 1995,p594.

⁵ Ruwet (Nicolas), Introduction à la grammaire générative, Plon : Paris, 2e éd., 1968, p.32.

⁶ رضا بابا احمد، من أجل معالجة آلية للغة النظرية اللسانية المعنى-نص، ص 175-176.

⁷ المرجع نفسه، ص 176.

⁸ Polguère (Alain), « La théorie Sens-Texte », Revue : Dialogue, Université du Québec, Vol. 8-9, 1998, p.12.

⁹ ينظر: Polguère (Alain), « La théorie Sens-

Texte », p.12

¹⁰ فرج محمد الغضاب، التكافؤ الجملي و أنظمتة الدلالية، ص 11-112.

¹¹ المرجع نفسه، ص 112.

¹² رضا بابا احمد، من أجل معالجة آلية للغة النظرية اللسانية المعنى-نص، ص 177-180.

¹³ ينظر: رضا بابا احمد، دراسة لسانية صورية للوحدات اللسانية الدالة، ص 68-71.

¹⁴ فرج محمد الغضاب، التكافؤ الجملي و أنظمتة الدلالية، ص 116.

¹⁵ للتوسع أكثر حول هذا التمثيل يرجى الاطلاع على المرجعين: فرج محمد الغضاب، التكافؤ الجملي و أنظمتة الدلالية

(ص 186-194)، و رضا بابا احمد، من أجل معالجة آلية للغة النظرية اللسانية المعنى-نص (ص 117-131).